أثر الإسلام على الحضارة وفضائله على الإنسانية

أ/لدغش سليمة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة زيان عاشور – الجلفة

ملخص

لقد أسس الإسلام لحضارة مختلفة عن ما عرفته البشرية ويرجع هذا الى المبادئ والقيم التي يحملها، وكذا للخصائصه والتي تميز بها عن غيره، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة وشهد بها العلماء، فهي حضارة رسخت المعاني الإنسانية، من خلال ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبالتالي فقد استمدت مقوماتها من الإسلام ذاته، الى جانب تأثرها بالحضارات القديمة، وهذه هي فلسفتها.

ولا شك أن للحضارة الإسلامية ضمانات لإقرار السلم الدولي، هذا السلم الذي هو الأصل في العلاقات الخارجية، وأن الحرب هي الحالة الإستثنائية. فالإسلام يؤكد أن الناس جميعاً أخوة، وأن الأديان السماوية واحدة في أصولها وأهدافها، مما كان له أثر في قواعد القانون الدولي الإنساني، من خلال النص على عدم الاعتداء، ووجوب الرحمة، والتمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين .

مقدمة:

لقد وثب الإسلام بالمسلمين وثبة هائلة، وهذه الوثبة الهائلة كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم في جنبات الدنيا والإنسانية فأنارهما بعد ظلمة، وهدى الإنسانية بعد حيرة، ونظمها بعد اضطراب، وأزال الأصفاد والقيود التي كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر. فلقد كانت هناك تشريعات وفلسفة وقوانين وطب وفلك وأدب واجتماع وتاريخ وجغرافيا وفنون وآداب للسلوك والاجتماع، وكان لكل هذه العلوم والفلسفات أساتذة عباقرة كأئمة الحديث ورجال الفقه الذين ضبطوا أساليب النقد، وأسسوا قواعد التشريع .... وفوق هذا وذاك فقد كان المسلمون هم واضعوا طرق البحث العلمي التجريبي الذي كان أساساً للحضارة الأوروبية الحديثة، ويكفي في هذا أن نستشهد

باعتراف العلامة برينولت(أن الأوربيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وأنه لم يسبقهم إليها باحث أو مفكر) .

ومن أسس التعامل الحضاري الإسلامي الذي جاء به رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، حمل بين طياته قوانين عدة مهمة عملت على نشره في شتى أرجاء العالم وهو صلى الله عليه وسلم حامل راية السلم والسلام لأنه يحمل للبشرية النور والهداية والخير والرشاد والرحمة والرأفة فيقول صلى الله عليه وعلى اله وسلم: (إنما أنا رحمة مهداة) .

المبحث الأول -الحضارة الإسلامية حضارة كاملة النسيج

إن ازدهار الحضارة الإسلامية في القرون الذهبية لا يعود الى الأنظمة الدقيقة والهياكل المحكمة للنظم المختلفة التي جاد بها العقل المسلم مبتكراً أو متفاعلاً مع الحضارات الأخرى، ولا الى النهضة العلمية في الترجمة والتأليف والابتكارات وتطوير المنهج؛ بل يرجع الى القيم الحضارية في الإسلام التي حفزت العزائم الى صناعة الحضارة.

المطلب الأول -مفهوم الحضارة الإسلامية

إن الحضارة في مفهومنا العام هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول الى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية .

الفرع الأول -تعريف الحضارة الإسلامية

الحضارة تعني في أصل اللغة الإقامة في الحضر، والحضارة ضد البادية، يقال فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية. وفي تاج العروس: الحضارة والحضرة هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار، والتي يكون لهم بها قرار[1].

وقد عرف ابن خلدون الحضارة بأنها: " نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار، ويضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية "، وهي

مهما يكن جانبها الأبرز متمثلاً في مظهرها الخارجي من الإنجازات المادية والمعنوية فإن منطلقها يكون متمثلاً في مرجعية من المعتقدات الدينية أو الأفكار الفلسفية التي توجه تلك الإنجازات، وتصنع منهجها، وتطبعها بطابعها [2].

وقد رأى بعض الباحثين أن الحضارة هي مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم وفنون وما الى ذلك، والترقي بها في مدارج الحياة ومسالكها حتى تصل الى الغاية[3].

كما أن الحضارة هي الجهد الذي يقدم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معا، فالثقافة هي التقدم في الأفكار النظرية مثل القانون والسياسة والاجتماع والأخلاق وغيرها، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيراً سليماً، أما المدنية فهي التقدم والرقي في العلوم التي تقوم على التجربة والملاحظة مثل الطب والهندسة والزراعة، وغيرها [4].

ولابد للإنسان من الثقافة والمدينة معا لكي يستقيم فكر الأفراد وسلوكياتهم، وتتحسن حياتهم [5]، فهي توفيق بين العقل والعاطفة والوحي والعلم وبين المادة والروح"[6]

وطبقا لهذا المفهوم فالحضارة هي التي تكتمل فيها عناصر التقدم، وحضارة الإسلام خير مثال شاهد على هذا المفهوم، فهي حضارة كاملة الأركان مادية وإنسانية معا، وهى أيضا الحضارة التي تجمع بين المادة والروح في توازن دقيق واعتدال رشيد فلا تطغى أحداهما على الأخرى كما يوجد في ثقافات أخرى[7]. والحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسر الحياة للإنسان[8].

والإسلام حضارةً، هي تلك الحضارة التي أقامها المسلمون وغير المسلمين من شعوب الدولة الإسلامية على اختلاف مللهم وأقوامهم، وانتموا جميعًا إليها. وقد عرفت باسم «حضارة الإسلام» أو «الحضارة الإسلامية»، وتمثلت حضاراتٍ سبقتها وهي اليوم في القرن الخامس عشر من قيامها واحدة من ثماني حضارات في عالمنا المعاصر[9].

الفرع الثاني -خصائص الحضارة الإسلامية:

إن الإنسان في مفهوم الحضارة الإسلامية هو ذلك الكائن المادي والروحي، وأن حياته الصالحة المستقيمة هي تلك التي يراعي فيها هذا الجانب وذلك، ويظهر جلياً في تعاليم الإسلام وتشريعاته، فإلى جانب الدعوة الى الإيمان والحرص على العبادة نجد الدعوة الى الأخذ بالأسباب المادية للحياة وتتلخص خصائص الحضارة الإسلامية في:

1 -**حضارة عقائدية**: لقد تميزت الحضارة الإسلامية وكان لابد أن تتميز بين حضارات الشرق، وحضارات الغرب، ذلك أنها حضارة تقوم على عقيدة التوحيد التي تفرِد الله سبحانه بالعبادة والطاعة، وحرصت على تثبيت تلك العقيدة وتأكيدها، وبهذا نفت كل تحريف سابق لتلك الحقيقة الأزلية[10]، وقد جاء الإسلام يؤسس الحضارة على أسس من التصور العقدي الذي جاء يدعو الناس للإيمان به، ويخطّ لها منهجا مشتقاً من ذلك التصور، وذلك في تأصيل نظري يمثّل المنطلق الإيماني لهذه الحضارة، ثم جاء يرسم لها حدوداً، ويقرر لها أحكاماً ذات صفة عملية، ترشد مسارها، وتحافظ على صبغتها الإيمانية، لتكون حضارة خلافية تحقّق المهمة التي من أجلها خلق الإنسان[11].

2 -**الحضارة الإسلامية حضارة عالمية**: عالمية الإسلام، وأنه دعوة إسلامية لكل الإنسانية، هو دين الله الى الناس كافة، ورسالته عالمية بكل ما تحمله معاني العالمية، (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)[12]. ورسول هذا الدين العالمي بعث الى كافة البشر(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[13]، كذلك دعوة هذا الدين عالمية، لأنه جاء لتحرير البشرية كلها من الانحرافات والضلالات والعبوديات لغير الله، ولم يكن الإسلام يوماً من الأيام خاصاً بقبيلة أو جنس أو طائفة، وإنما هو دين الله الى الناس كافة. ولأنه دين مشتمل على منهج حياة متكامل في جميع مناحي الحياة، لم يكن هذا المنهج ناتجاً عن ردة فعل لسوء أوضاع بيئة معينة، كما هو شأن المناهج البشرية الوضعية، وإنما هو منهج عام شامل كامل، أراده الله ليكون للبشرية جمعاء في كافة ديارها وشتى أقطارها [14] .

كما أن تعاليم الدين الإسلامي عالمية لأنها تعِد الإنسان لمستقبل خالد، والاعتقاد بإله واحد، يقود الى إذابة كل مبدأ عرقي، أوشعور قومي، ومفهوم عالم ينظر إليه على أنه مجرة من جماعات شتى تلتف حول رسول الله يؤدي الى احترام سائر الشعوب والتسامح معها[15]. ومن أجل ذلك كانت رسالة الحضارة الإسلامية يشترك في تحقيقها العملي، وبنائها التطبيقي كل من استجاب لها من كل عرق ولون ولغة[16].

ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة الإسلامية، وشهد بها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم؛ إلا مرضاة العلم ذاته .

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة: "أن أوروبا تدين للعرب، وللحضارة العربية؛ وأن الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدا".

وقال العلامة دريبر "المدرس في جامعة هارفاد بأمريكا في كتابه المنازعة بين العلم والدين: "أن نتائج هذه الحركة العلمية، تظهر جلياً بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم؛ فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات، وسنن النظم الزراعية الحكيمة، وإدخال زراعة الأرز وقصب السكر والبن ... وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن، ...وأن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوروبا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها "[17].

إن هذه الأقوال التي جاءت على لسان علماء أفذاذ لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمناً وجملة وتفصيلاً لحضارة المسلمين، ومدى فاعلية هذه الحضارة الإسلامية الإنسانية .

وأن الأمة الإسلامية يمكن أن تعود الى بناء حضارتها المتميزة وشخصيتها الإسلامية الفريدة[18] .

3 -**الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية**: لقد قررت تعاليم الدين الإسلامي أن الناس جميعاً سواسية في القيمة الإنسانية المشتركة وأنه لا فضل لإنسان على آخر إلا بكفايته وعمله وخلقه ودينه . [19] ولذا أعلنت أسس الحضارة الإسلامية المتمثلة في الآتي:

1 -أنه لا فرق بين عرق وعرق، ولا لون ولون، ولا بين ناطق بلغة وناطق بأخرى، لمجرد اختلاف الأعراق أو الألوان أو اللغات . قال رسول الله: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت ؟ قالوا: بلغ رسول الله"[20] .

2 -وأن الناس كلهم متساوون في أصل الإنسانية، وإن اختلف أفرادهم في الخصائص والهبات الفكرية والنفسية والجسدية، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[21]، وقال رسول الله "إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم؛ وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم؛ أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن"[22] .

3 -وإن اختلاف هذه الخصائص والهبات الربانية إنما هو أساس فقط لاختلاف المسؤوليات في الحياة وشرط طبيعي لتوزيع الأعمال[23] ، قال تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[24].

وبهذا عملت الحضارة الإسلامية على نقل المجموعات البشرية من الدوائر الضيقة العنصرية والقومية والطبقية الى أجواء فسيحة مملوءة بالتآخي، والتراحم والتسامح والتعاون

وهكذا فإن الحضارة كمفهوم شامل لا يستند وفقط على التقدم المادي، بل ويشتمل أيضا على العامل الإنساني، فالحضارة قسمان لا غنى لأحدهما عن الأخر ومن هذا التمازج تتشكل حقيقة الحضارة[25]، أي إذا انفصلت الحضارة عن المعاني الإنسانية أصبحت مجرد مظهر من مظاهر البناء الأجوف ولم تكن حضارة فعلا بمعناها الشامل الحقيقي، وإنما هي ثقافة مادية تفتقد لمقوم رئيسي من مقومات الحضارة.

وعلى هذا الأساس أقام المسلمون صرح الحضارة الإسلامية بمعطياتها الروحية والمادية، وحققت للإنسانية أقصى درجات طموحها في تلك العصور التي كان فيها العالم من حولها يعيش خواءً روحياً وأخلاقياً، وتخلفاً واضحاً في صناعة الحياة. فكل

نشاط مادي في ظل الحضارة الإسلامية له غاية أخلاقية، وفيه جانب روحي[26]، قال الرسول "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة[27].

المطلب الثاني -مرجعية الحضارة الإسلامية وفلسفتها

إن مرجعية الحضارة الإسلامية مستمدة من خلال مصادره، بالإضافة الى تأثير الحضارات القديمة، كما تقوم فلسفة الحضارة الإسلامية على مجموعة القيم والمبادئ العليا.

الفرع الأول -المرجعية التي تستند عليها الحضارة الإسلامية

إن مرجعيتها هي الإسلام ذاته من خلال مصادره الأصلية أو الفرعية، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المرجعية الثابتة والمستقرة للحضارة الإسلامية التي تمدها بالدفع والتحريك من خلال النصوص العامة ذات الدلالة التي ترتقي على البعد الزماني والمكاني وتستمر في عطائها الحضاري عبر وتيرة تاريخية ترتفع وتنخفض وفقاً للفعل الذي يقوم به المسلم أو الأمة الإسلامية، مع ثبات في الأصل الدافع، وثبات كذلك في الحد الأدنى من هذا الفعل الذي يشكل الصفة اللازمة للأمة حين يقرر"إسلاميتها"، إذ تحدد الخصائص العامة للأمة تلك الصفة الملازمة لها، والتي تفرق بينها وبين الأمم الأخرى ذات الخصائص أو الصفات الملازمة لها كذلك، لكن الأمة المسلمة (الأداة الفاعلة للحضارة) لا تستمد تلك الصفة من (قوم) أو (أرض) أو (عطاء) وإنما تستمدها من الدين، وتلك علامة فارقة بينها وبين الأمم أو الحضارات الأخرى[28] .

والباحث المنصف يرى أن الإسلام في وثبته قد وضع أسس المعرفة التي تهدى الإنسان الى الخير وتحيط بجميع الجوانب، وتجعل منها كلا متكاملاً غير قابل للتمزق والشتات. ولقد نبه القرآن الى وجوب النظر في الكون العام، وفي النفس الإنسانية، وفي الأسباب والمسببات، فكان بهذا مصباحا أنار الدنيا، وأضاء أفق الإنسانية وأشرق بالمعرفة الصحيحة[29].

وقد سجل القرآن الكريم طرقا شتى يكشف الحقيقة ليتخذ كل فرد من بني الإنسان الطريق الذي يتلائم مع مستواه، ويتسق مع عقليته ... والطرق التي جاء بها الإسلام تتطابق مع مراتب الإنسانية ودراجاتها، وتتجاوب مع حاجاتها ورغباتها[30] .

الى جانب المرجعية القرآنية والسنة النبوية فإن الحضارة الإسلامية قد تأثرت بالحضارات القديمة وكان أهم هذه التأثيرات هو التأثير الفارسي حيث كان هذا الأخير أقوى في مجال الأدب ونخص هنا بالذكر عبد ابن المقفع حيث ترجم تاريخ الفرس وقيمهم وعاداتهم وسير ملوكهم. كما كانت الحضارة اليونانية ذات تأثير قوي في العلوم العقلية وأبرز مظاهر التأثير اليوناني كانت خلال العصر الهلينستي حيث امتزجت حضارة اليونان بالقسم الشرقي وأخذ المسلمون منهم ما يتوافق مع الإسلام ونبذوا ما يتعارض معه[31].كذلك تأثرت الحضارة الإسلامية بالحضارة الهندية وهذا عندما امتدت حركة الفتوح الإسلامية الى الهند في أواخر القرن الأول الهجري، واستؤنفت في القرن الثاني الهجري ونشطت مرة أخرى في القرن الخامس الهجري. ومن العلوم التي أخذ فيها المسلمون عن الهنود: الرياضيات والفلك والطب[32].

الفرع الثاني - فلسفة الحضارة الإسلامية

إن الإسلام ينظر الى الإنسانية عامة؛ نظرة التكريم والاحترام ويرتب على ذلك حقوقاً عامة لجميع البشر . فالعدل والرحمة والمساواة في الحقوق والواجبات... أمور يفرضها الله لجميع الناس ما لم يكن اعتداء وخروج على سنن الله[33].

إن الدين الإسلامي ولئن امتاز بأنه مؤسس الحضارة الإنسانية من حيث الاهتمام بحرية الفكر، وإعزاز حرية وحقوق الإنسان وتشجيع العلم والدعوة الى المساواة بين الناس في ظل إخاء شامل وعدل تام واعتزاز بالمثل العليا والقيم الخلقية السامية ...فإن واقع الأمر يبين للناس أجمعين أن الحضارة الإسلامية استمدت مقوماتها من الإسلام ذاته .لأن الإسلام إطار للإنسان الحي والمجتمع القوي للإنسان صاحب الإرادة والعزم، والمجتمع العطوف المتواد[34] .

قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[35].

والقرآن عندما يحدثنا عن المجتمع الإسلامي الفاضل الذي بناه، وشيّد صرحه رسول الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة فإنه لا يحدثنا عن طبيعة البيوت، وطريقة تعبيد الطرق، ولا عن أسلوب بيعهم وشرائهم، بل يحدثنا عن أمر آخر؛ عن قواعد الحضارة، وتلك الروح الكبيرة التي استطاعت أن تستوعب شتات القبائل العربية المتناحرة التي كان شعارها الخوف، ودثارها السيف، والتي كانت تعيش في وضع متأزم، ويهدد الفناء حياتها، وكانت طعمة للغزاة[36]. وقد بينت السنة النبوية في ضوء منهجها أن القيم الحضارية الدينية تعتبر أصل الحضارة الإنسانية، وسبب وجودها وبقائها، فهي سبب الفتح الموعود به في قوله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[37]، وقد كانت النبوات تمهيداً لهذا الناموس الكوني الذي كتبه الله على كل أمة، قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[38]، وفي السنة النبوية يتبين أن القيم الحضارية مستمدة في مجملها من الوحي الإلهي، فإن قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[39]، أكده حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز: (أن الرسول صلى اله عليه وسلم قال: "أفضل ما قلت أنا والنبيين من قبلي (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)" [40]

وعلى هذا الأساس تُمَثِّل الأخلاق والقيم الجانب المعنوي أو الرُوحي في الحضارة الإسلامية، وأيضا الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أي حضارة، وفي ذات الوقت تضمن سرّ بقائها وصمودها عبر التاريخ والأجيال، وهو الجانب الذي إذا اختفى يوما فإنه يُؤْذِنُ بزوال الدفء المعنوي للإنسان، الذي هو رُوح الحياة والوجود؛ فيصير وقد غادرت الرحمة قلبه، وضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره، ولم يَعُدْ يعرف حقيقة وجوده فضلاً عن حقيقة نفسه، وقد بات مُكَبّلاً بقيود مادية لا يعرف منها فِكَاكا ولا خلاصاً[41].

والقيم الحضارية في الإسلام قيم ربانية جاءت في سياق منظومة متكاملة تبدأ من الله تعالى ثم يتلقاها أنبياؤه . عليهم السلام . ثم يعلمها المؤمنون ويعملون بها، وإذا أخذنا قيمة العدل كمثال فإننا نجدها في مقام الربوبية في حديث: (أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا...)[42]. وهذه هي فلسفة الحضارة الإسلامية .

المبحث الثاني - ضمانات الإسلام لإقرار السلم الدولي

للإسلام ضمانات لإقرار السلم الدولي هذا السلم الذي هو الأصل في العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية وهو الحالة العادية لهذه العلاقات، والحرب لا تعدو أن تكون حالة استثنائية على هذا الأصل العام لا يصار إليها إلا لأسباب تقتضيها دواع تحتمها وكلها أسباب ودواع لا تنطوي على ما يفيد أو يجيز مقاتلة غير المسلمين لمجرد بقاءهم على غير ديانة الإسلام.

المطلب الأول -مفهوم الإسلام

إذا أخذنا كلمة الإسلام بمعناها القرآني، نجدها لا تدع مجالاً للسؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية، كما أن للإسلام مبادئ لإحلال السلام.

الفرع الأول -تعريف الإسلام

فالإسلام – في لغة القرآن – ليس اسماً لدين خاص؛ وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء هكذا نرى نوحا يقول لقومه: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[43]. ويعقوب يوصي بنيه (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[44]، وأبناء يعقوب يجيبون أباهم (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) [45]، وموسى لقومه (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)[46]، والحواريون يقولون لعيسى (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي الى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[47]، وبالجملة نرى اسم الإسلام شعارا عاما يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية الى عصر النبوة المحمدية[48].

إن أصل مادة السلم والسلام يأتي من الفعل الماضي الثلاثي سلم والتي من معانيها الاستسلام؛ والطاعة والخضوع لله تعالى ثم للحاكم؛ أو الصلح وترك الحرب والمنازعة، أما السلم والأمان والذي يعنينا من هذه المعاني المشتركة في لفظ سلم ما جاء على معنى المصالحة والموادعة: أي ظهور بوادر لغياب الحرب وورد في المعجم الوسيط مفهوم السلم بأنه: "السلم: الإسلام ...والصلح وخلاف الحرب؛ والمسالم وصف للمصدر الواحد

وغيره ...سالما: أي صالحه، تسالما – تصالحا ...و – الخيل ونحوها تسايرت في هدوء لا يهيج بعضها بعضا[49].

والسلام من أسماء الله الحسنى، ويقال للجنة دار السلام لخلوها من الآفات، وقد ورد اسماً لله جل جلاله مرة واحدة في التنزيل، قال تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون)[50].

أما عن مفهوم السلم اصطلاحا فإن آن سلوتر تقول "إن مفهوم السلام الديمقراطي في القانون الدولي العام هو قيام السلام بين الدول الليبرالية كونها تتبنى نظام السوق الحرة وحرية الحركة الدولية وتوسيع نطاق المصالح المشتركة بين الدول، وقيام السلام الديمقراطي ...فمن الطبيعي أن تحرص هذه الدول على عدم شن أية حروب قد توقعها في أعباء اقتصادية أو انهيار لمصالحها الاقتصادية في العالم[51].

أما عن مفهوم السلم في الفكر الإسلامي فالإسلام شريعة السلام ودين رحمة؛ اسم الإسلام مشتق من صميم مادة السلام، والإسلام والسلام معا من مادة واحدة، وليس الإسلام إلا خضوع القلب والروح والجسم لنظام السلم والخير، واستسلام المسلم لمالك الأمر في الدنيا والآخرة ..لله رب العالمين. ونستطيع أن نؤكد أن فكرة السلام تحتل المقام الرئيس بين أهداف الإسلام العامة، بل يصرح القرآن بأن الثمرة المرجوة من إتباع الإسلام هي الاهتداء الى طرق السلام والنور[52]، قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ الى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ الى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16))[53].

وتحية أهل الإسلام فيما بينهم السلام عليكم ورحمة الله. وختام الصلاة عندهم سلا م على اليمين وسلام على اليسار وسلام في الأمام إن كانوا يصلون خلف إمام كأنهم يبدؤون أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام بعد أن فارقوها بخواطرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك العلام[54]. وهي تحية المسلم لإخوانه في الصلاة أيضا " السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين " ومن الذكر الوارد بعد الصلاة " اللهم

أنت السلام ومنك السلام " وأفضل ما يلقى الله به عباده تحية السلام قال الله تعالى: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) [55].

وقد صورت هداية الإسلام في القرآن الكريم بأنها تخرج المؤمنين من ظلمات الجاهلية الى نور الحق وتهديدهم الى طريق السلام، كما وردت في الآية الكريمة: "يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل الإسلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم"[56]. وأيضا يمكن الإشارة أن السلام من أسماء الله الحسنى وقد ورد ذكره في القرآن الكريم: "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام..."[57]بم عرب هذا الاسم في الدعاء النبوي "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[58].

ولقد دعا الإسلام الى السلم في كافة أحواله، واعتبر الحرب من إغراء الشيطان، ومن يسير فيها إنما يسير في خطوات الشيطان؛ وصرح بأن من يلقى السلام لابد من الامتناع عن قتاله، ولقد صرح فوق ذلك بأن من يلقي السلام لا يصح أن يقاتل بدعوى أنه غير مؤمن، وهذا صريح في نصوص القرآن الكريم الذي هو سجل الشريعة الإسلامية الخالد الذي يخاطب الأجيال كلها، لا فرق بين عصر وعصر ولا جيل وجيل [59] .

إن الإسلام يقرر السلم على أنه أصل من أصول العلاقات الإنسانية بين الدول، ولا شك في أن الحرب في الإسلام ليست هي الأصل في العلاقات، فالمبادئ المقررة في قواعد العلاقات لا تسمح بابتداء المسلمين بالحرب.و من هنا يمكن القول أن الأصل في العلاقات هو السلم الدائم وورد في هذا المعنى آيات كثيرة ومن الأهمية أن نشير أخيراً الى أن كلمة "السلام" ومشتقاتها قد وردت في أكثر من مئة آية من آيات القرآن الكريم، على حين أن كلمة الحرب ومشتقاتها لم تذكر إلا في ست آيات فقط [60] .

الفرع الثاني -مبادئ السلام في الإسلام

1 -الناس جميعا إخوة مهما اختلفت لغاتهم وأنسابهم وأوطانهم، فهم أبناء أب واحد وأم واحدة: وفي هذا يقول الله جل وعلا: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[61]، وقد كثر في القرآن خطاب الناس

بنسبتهم الى آدم قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27))[62]. تذكيراً بحق الأخوة بين الناس فلا يعتدي أخ على أخ ولا يظلم أخ أخا . بل الإنسان والحيوان من عالم واحد، عالم الروح الذي يحس ويتحرك، قال الله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ الى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)[63]. بل الكون كله من حيوان ونبات وجماد وأرض وأفلاك عوالم مخلوقة لإله واحد ورب واحد. وإن من واجب المسلم أن يذكر هذه الحقيقة في صلاته بضعا وثلاثين مرة في اليوم الواحد، حين يقرأ الفاتحة في كل ركعة من ركعات صلاته، وفي أولها قال الله تعالى: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2))[64].

وهكذا نرى أن الإسلام يقدس معنى الإخاء بين الناس ويقضي على روح التعصب[65].

2 -التسامح: فالتسامح في معناه الاصطلاحي الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين – سواء في الدين أم العرق أم السياسة– أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم. بل أكثر من ذلك، فهو يطبق ما يسمونه مؤخراً بأرقى أنواع التسامح والذي يدعو الى تجاوز الموقف الذي يقتصر على التسامح بمعنى قبول اختلاف الآخرين، والتقدم الى موقف التقدير المناسب لخصائص الآخر واحترام "آخريتهم" فالإسلام لم يحترم آخرية الآخرين فحسب، بل يسمح لقوانين الآخر بتطبيق قوانينه في بيئته وضمن المجتمع أو النظام الإسلامي[66].

3 -حصر الحروب في أضيق الحدود: والملاحظ أن الإسلام لا يلح في إضرام نار القتال حتى ولو كان لجهاد العدو، ولكنه كان ومازال ضروريا للمحافظة على دين الله، قال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[67] وكُتب علَيكُم الْقَتَالُ "فُرض عليكم القتال، يعني: قتال المشركين، " وهو كُره لَّكُم" أي ذو كره لكم

و"الكُره " بالضم هو ما حمل الرجل نفسه عليه من غير إكراه أحد إياه عليه. و"الكره" بفتح (الكاف) هو ما حملَه عليه فأدخله عليه كره، والكره هنا هو كره في الطباع[68].

4 -الأديان السماوية واحدة في أصولها وأهدافها: فإلى هذه البشرية أرسل الله الواحد رسالة واحدة، المؤمنون بها أمة واحدة قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيب) [69]، وقال: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ الى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون)[70]. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52))[71] ؛ من هذا التناسق في طبيعة الكون، وفي ناموس الحياة وفي أصل الإنسان ...تستمد طبيعة السلام في الإسلام، فتستند الى أصل أصيل عميق، ويصبح السلام هو القاعدة الدائمة، والحرب هي الاستثناء الذي يقتضيه الخروج عن هذا التناسق[72].

5 -المعاملة الإنسانية: قرر الإسلام مبدأ الكرامة الإنسانية، والمساواة بين البشر جميعا في القيمة الإنسانية المشتركة، وبين أن البشر ابتداء هم أمّة واحدّة ينتمون الى آدم عليه السلام، وأنَّه لا تفاضل بينهم بسبب لون أو عرق أو لغة، بل كلهم لآدم، وآدم من تراب قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [73]، وهذه المعاملة الإنسانية ليست مقتصرة على السلم فحسب؛ بل هي شاملة لحالتي السلم والحرب، فالشريعة الإسلامية حرمت حرق جثث الأعداء، وأمرت بدفنها كما حرمت التمثيل بها، أو تشويهها، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أَ ن النَّبِي صلَّى اللَّه عَليهِ وسلَّم كَان يحُّث عَلَى الصدَقَةِ، ويْنْهى عن الْمْثْلَةِ)[74]، بل وأمرت بإطعام الأسير وعدم التنكيل به الى غير ذلك من التوجيهات الإنسانية التي تتعامل مع العدو كآدمي له حقوق الإنسانية وإن كان عدواً[75].

المطلب الثاني -نظام السلم في الإسلام وأثره في قواعد القانون الدولي الإنساني

لقد أكد الإسلام على أهمية السلم من خلال مُثل عليا تسود المجتمع، مما كان له الأثر ضمن قواعد القانون الدولي الإنساني.

الفرع الأول -نظام السلم في الإسلام

رسم الإسلام نظاماً دقيقاً للسلم، ويحاول إقرار هذا السلم وفق مبادئه العليا في تحقيق كلمة الله؛ ولا يبدأ به في مجال السلام الدولي، تلك نهاية المرحلة لا بدايتها . ولا يعد السلام الدولي إلا الحلقة الأخيرة التي تسبقها حلقات .

1 -التعايش مع الأخر: الحياة المشتركة مع الآخرين تحتاج من جميع الأطراف فيها، قبولا بتعايش من اختلف فيه بعدل ومساواة، أي فيه تسامح مع من اختلف فيه لدى تلك الأطراف، واحترام متبادل من كل طرف للطرف الآخر على قاعدة تقول: نتفاهم حول ما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وعندئذ تنجح عملية التعايش والتفاهم بين الأفراد في المجتمع الواحد، وبين الشعوب المختلفة[76].

2 -احترام عقائد الشعوب: تتجسد حرية العقيدة في الإسلام في قوله تعالى: (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22))[77]، وفي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وتعامله مع غير المسلمين حين قال في حق أهل الكتاب " اتركوهم وما يدينون لهم مالنا وعليهم ما علينا "[78].

3 -إصلاح الفرد: الإسلام وليد العقيدة الرائقة التي تطهر النفس، وتزكي القلب وتربي الخلق وتغذي العقل وتوقف الغريزة عند حدها وتعطي كل مطمح من مطامح الإنسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي[79].

4 -تأكيد الأصل الواحد للبشر: فهناك في أعماق الروح يغرس بذرة الحب، وينسم نسمة الرحمة ...إنه يرد الناس الى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة، ويذكرهم أخوانهم في الله وفي المنشأ والمصير وبالتالي أمكن أن تفلح النظم والقوانين التي يسنها لتحقيق هذا السلام[80].

5 -العدل: وإن نصوص القرآن الكريم في ذلك متضافرة كثيرة، والعدالة حق للأعداء، كما هي حق للأولياء، وقد نص القرآن على أنه لا يصح أن تحمل العداوة

على الظلم، فالعدل مع الأعداء أقرب للتقوى، وقد صرح القرآن بأن أساس الأحكام الإسلامية المنظمة لعلاقات الناس جميعا بعضهم مع بعض؛ آحادا وجماعات هو العدل[81].

6 -التعاون بين الشعوب: لقد شاءت حكمة العلي القدير أن يتورع عباده في حدود سياسية مختلفة قال الله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِير)[82]. وقد أوضح الحكيم الخبير بعض حكمته في هذا التوزيع في قوله: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[83]. ولكن هذا التدافع للخير وليس للشر[84].

الفرع الثاني -أثر الإسلام في قواعد القانون الدولي الإنساني

أكد الإسلام على قواعد القانون الدولي الإنساني منذ السنوات الأولى لوجوده أي قبل قواعد القانون الدولي المعصر بما يقارب ثلاثة عشر قرناً.

1 -مبدأ عدم الاعتداء: لقد نصت الشريعة الإسلامية على المعاملة بالمثل شرط أن لا تخرق هذه المعاملة حقوق الإنسان، فلو عامل العدو الأسرى بطرق غير لائقة فإنه لا يجوز معاملة أسراه بنفس هذه الطريقة لما في ذلك من خرق لحقوق الإنسان وللأحكام والقواعد الشرعية التي ينص عليها الإسلام[85].

2 -مبدأ عدم التمثيل ووجوب الرحمة: ويمكننا أن نقرر بكل ثقة إن الإسلام هو دين الرحمة، ولا نقول إنها سمة من سماته أو هي خاصية من خصائصه وإنما هي خلق الإسلام ودين هذا خلقه لا بد أن تظهر آثاره في كل أحواله في السلم وفي الحرب، ومع كل الناس المسلم وغير المسلم، الصديق والعدو، الصغير والكبير، المرأة والرجل .

3 -مبدأ عدم الإسراف عند الظهور، أي عدم التمادي في القتل والضرب إذا انتصر الجيش، ويدخل تحت هذا المبدأ عدم جواز قتل الأسرى، كما حدد الغزالي في قتل الأسرى بقوله: "وحتى انهزم عسكر عفوا عن جنود الجند ولا يستعجلوا بقتلهم لأنه قد يمكن قتل الأحياء، ولا يمكن إحياء القتلى " وكما قال قدامة بن جعفر: " إن على أمير الجيش أن يتجنب مساخط الله ومحارمه، ولا يتعدى مناهيه ومآثمه "[86].

4 -مبدأ التمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين: فَرقت الشريعة الإسلامية بين المقاتلين وغير المقاتلين، والأهداف العسكرية وغير العسكرية، كما قضت بعدم جواز التعرض لغير المقاتلين بكافة فئاتهم: من نساء وأطفال وعجائز، ونحوهم ...طالما لم يقاتلوا أو يعينوا على قتال؛ أما إذا شاركوا في القتال مباشرة أو برأي ونحوه فقد جاز قتالهم وقتلهم.

قال الله تعالى: " وقَاتِلُوا فِي سبِيلِ اللَّهِ الَّذِين يقَاتِلُونكُم ولا تَعتَدوا إِن اللَّه لا يحِب الْمعتَدِين"، أي ولا تعتدوا بقتل النساء والأطفال والرهبان، ممن لم يحمل السلاح ولم يقاتلكم[87] .

الخاتمة

فالخلاصة التي لا مراء فيها أن السلم والسلام والسلامة والمسالمة من صميم الإسلام، بحسب نصوصه المقدسة، وأدلته الشرعية، ومقاصده السامية، وتعاليمه الحقيقية، وتقاليده الثابتة، وأن الحرب "هو كره" كتب لحالات استثنائية. وفيما عدا ذلك فكل زعم آخر باطل ومغلوط، فبعد نزول الإسلام كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائداً عظيماً وإنساناً رحيماً حيث نظم قواعد سير القتال والقيود والنواهي التي ترد على سير القتال ومن بعده سار صحابته على نهجه كما أن ما قدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسر الحياة للإنسان هي الحضارة التي جاء بها الإسلام لخدمة البشرية كلها.

الهوامش:

[1] -الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 481 . الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، ج 3، ص 146، نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية www.elc.edu.sa، ص70 .

[2] -عبد المجيد النجار: "معالم المنهج الحضاري"، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد الخامس والعشرون، 2010، ص 148 -149 .

[3] -شلبي أبوزيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996، ط7، ص 7. نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص70.

[4] -محمد أحمد جود، محتوى الحضارة الإسلامية من 1 الى 14 على الموقع
http//www.e1500.com/vb/

[5] -نفس المرجع .

[6] -أنور الجندي: حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني، ص 77، نقلا خالد جوده أحمد: سماحة الإسلام وتعصب الغرب - المفارقة الكبرى، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1999، ص33.

[7] -نفس المرجع .

[8] -محمد أحمد جود، المرجع السابق.

[9] -أحمد صدقي الدجاني: "الحوار مع الآخر في الإسلام"، مقال على شبكة الإنترنات

[10] -مقال الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص75.

[11] -عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 149 .

[12] -سورة الأعراف 158 .

[13] -سورة سبأ 28 .

[14] -ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، (هل أصل علاقة المسلمين بغيرهم السلم أم الحرب)، ص 13.

[15] -الخطيب، سليمان: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ص208. نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص76.

[16] -الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، ص 132. نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق، ص76.

[17] -أحمد عبد الرحيم السايح: فلسفة الحضارة الإسلامية، مطابع الأهرام، 1989، ص 165.

[18] -نفس المرجع، ص 166 .

[19] -الخطيب سليمان: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ص211. نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق، ص76.

[20] -أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 22978 .

[21] -سورة النساء الآية1 .

[22] -السجستاني أبوداود: سنن أبي داود(كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب)، رقم الحديث 5116 نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 77 .

[23] -الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة: المرجع السابق، ص134 -النجار مصلح بن عبد الحي: الوافي في الثقافة الإسلامية، ص 167. نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 77.

[24] -سورة الزحرف الآية 32 .

[25] -محمود شاكر: التاريخ الاسلامى، الجزء الاول، ص7 .نقلا عن خالد جوده أحمد، المرجع السابق

[26] -النجار مصلح بن عبد الحي، الوافي في الثقافة الإسلامية، ص 174.نقلا عن مقال الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص80 .

[27] -أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 12976.

[28] -سعيد حارب: "البعد الحضاري للأمة المسلمة في دعوة نبي الرحمة"، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد 532، 2010، ص14.

[29] -أحمد عبد الرحيم السايح، المرجع السابق، ص 159 .

[30] نفس المرجع، ص 180 -184.

[31] -محمد أحمد جود، المرجع السابق .

[32] -نفس المرجع.

[33] -أحمد عبد الرحيم السايح، المرجع السابق، ص9 .

[34] -نفس المرجع ص 4، 5.

[35] -سورة الإسراء الآية 70 .

[36] -علي بن نايف الشحود: "الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل" على موقع الإنترنات

[37] -سورة الأعراف الآية 96 .

[38] -سورة فاطر الآية 24 .

[39] -سورة الأنبياء الآية 25 .

[40] -أخرجه مالك في القرآن، باب ما جاء في الدعاء، ص 128 . ورواه الترمذي في الدعوات باب في دعاء يوم عرفة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال: (قال هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني، وليس بالقوي عند أهل الحديث)، ج5، ص 572. نقلا عن محمد بشير: " القيم الحضارية – مفهومها وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية – "، دراسات دعوية، العدد 15، 2008، ص53 .

[41] -راغب السرجاني: " الحضارة والقيم في الحضارة الإسلامية "، على موقع الإنترنات www.rasoulallah.net

[42] -أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص 1039. نقلا عن محمد بشير، المرجع السابق، ص56.

[43] -سورة يونس الآية 72 .

[44] -سورة البقرة الآية 132 .

[45] -سورة البقرة الآية 123 .

[46] -سورة يونس الآية 84 .

[47] -سورة آل عمران الآية 52 .

[48] -محمد الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، الطبعة السادسة، القاهرة، شركة نهضة مصر، 2005، ص 67 - 68.

[49] -إبراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد مجيد، محمد علي النجار: المعجم الوسيط، دار الدعوة، تركيا – اسطنبول، 1989 مادة س، الطبعة الثانية ص446 . نقلا عن محمد سيد نوري البازياني: "مفهوم السلم في الفكر الإسلامي"، أطروحة دكتوراه، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، بريطانيا، 2006، ص 23 .

[50] -سورة الحشر 23 .

[51] -للمزيد أنظر: ايمك رايد اميرا، السلام الليبرالي والقانون الدولي، الموقع على الإنترنيت: http//jerusalem.indymedia.org نقلا عن محمد سيد نوري البازياني المرجع السابق، ص 27.

[52] -نفس المرجع، ص 102 -104.

[53] -سورة المائدة الآية 15 -16.

[54] -حسن البنا: السلام في الإسلام، بدون دار النشر، ومكان النشر، 1991، الطبعة الرابعة، ص44.

[55] -سورة الأحزاب الآية 44 .

[56] -محمود مصطفى نادية وآخرون: المقدمة العامة لمشروع العلاقات الدولية في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، بدون سنة نشر.

[57] -أبو بكر القادري: أسس العلاقات الدولية في الإسلام، سلسلة ندوات ومحاضرات، المملكة المغربية، 1989.

[58] -مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 258، سنة 2000.نقلا عن: النظرية الإسلامية في العلاقات الدولية على الموقع
http: //abdelkadermohamed.maktoobblog.com

[59] -محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص 50.

[60] - النظرية الإسلامية في العلاقات الدولية، المرجع السابق .

[61] -سورة النساء الآية 01 .

[62] -سورة الأعراف الآية26 - 27 .

[63] -سورة الأنعام 38 .

[64] -سورة الفاتحة الآية1 -2 .

[65] -محمد سيد نوري البازياني، المرجع السابق، ص 234.

[66] -فؤاد صادق: " الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - وثقافة اللاعنف والتعايش"، معهد الإمام الشيرازي الدولي للدراسات.على موقع الانترنت.

[67] -سورة البقرة 216 .

[68] -الطبري ابن جرير: تفسير الطبري، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ط، 1 ص 580، 581 .و القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار ابن خلدون، الإسكندرية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ط5، ص 27. نقلا عن

علي محمد حسنين حماد: القانون الدولي الإنساني والأمن الإنساني في الإسلام، ملتقى علمي حول القانون الدولي الإنساني والأمن الإنساني، بيروت، 2010، ص 22 .

[69] -سورة الشورى الآية 13 .

[70] -سورة البقرة الآية 136 .

[71] -سورة المؤمنون الآية51و52 .

[72] -سيد قطب: السلام العالمي والإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1993، ط12، ص 20 -21.

[73] -سورة الحجرات الآية 13 .

[74] -أخرجه البخاري، صحيحه: كتاب المغازي، باب القصة عكل وعرينة، رقم 34ح 3956، ج 4، ص1535. نقلا عن محمد سليمان نصر الله الفرا، "أحكام القانون الدولي الإنساني في الإسلام"، مذكرة ماجستير، الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية بغزة، 2007، ص 68.

[75] -وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر ، 2003، ط2،ص 479

[76] -هاني المبارك وشوقي أبوخليل: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب دار الفكر ، ص14.

[77] -سورة الغاشية الآيات 20، 21 و22 .

[78] -كامران الصالحي: قواعد القانون الدولي الإنساني والتعامل الدولي، مؤسسة موكرياني للبحوث، بدون مكان نشر، 2008، الطبعة الأولى، ص 52.

[79] -أحمد عبد الرحيم السايح، المرجع السابق، ص 64 .

[80] -سيد قطب، المرجع السابق، ص 106.

[81] -محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 36.

[82] -سورة هود الآية11 .

[83] -سورة الحج الآية 40 .

[84] -محمد طلعت الغنيمي: قانون السلام في الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 101.

[85] - الأخضر عمر الدهيمي: القانون الدولي الإنساني من منظور الأمن الإنساني، ملتقى علمي، بيروت، 2010، ص 10.

[86] -قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتاب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981، ص 44 - 47 .نقلا عن خليل أحمد خليل العبيدي: " حماية المدنيين في النزاعات المسلحة الدولية في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية"، رسالة دكتوراه، جامعة سانت آلمنتس، 2008، ص 262.

[87] - وهبة الزحلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، - دراسة مقارنة -، دار الفكر، دمشق، 1992، ط4، ص 494.محمد علي الصابوني: روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 1999، ج1، ط1، ص 164 -165.إسماعيل أحمد الأسطل: ، أجكام البيع، كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية، فلسطين (غزة)، بدون تاريخ نشر، ص 363